سنية صالح

ذكر الورد

www.akhawia.net

سنية صالح

ذَكَرُ الورد

رياض الريس للكتب والنشر

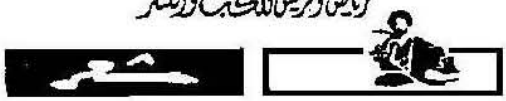

RIAD EL-RAYYES BOOKS
4 Sloane St. London SW1X 9LA

www.alkhaviani.net

A MALE ROSE

POEMS

by

SANIA SALEH

First Published in Great Britain in 1988
Copyright © Riad El-Rayyes Books Ltd
4 Sloane Street, London SW1X 9LA

British Library Cataloguing in Publication Data

Saleh, Sania
A male rose
I. Title
892'.716

ISBN 1 - 869844 - 88 - 2

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without prior permission in writing of the publishers

Photosetting by: Riad El-Rayyes Books Ltd., London
Printed & Bound in Great Britain By: Biddles Ltd., Guildford & King's Lynn

www.akhawia.net

إلى البيوت الحميمة التي طُرِد الإنسان منها، وتلك التي ابتلعته وأهلكته ،

إلى الأبواب الموصدة التي تساقط أمامها وهو ما يزال ينتظر .

سنية

www.akhawia.net

فجرٌ نسمّيه القصيدة

تقرّر القصيدة مصير العالم الذي يقف خلف أميال من النيران الشعرية . . . حين نجتاز تلك الأميال بخفقة قلب .

س .

- ١ -

في العمل الإبداعي يدفع الشاعر بشفرة ذاته داخل القشرة الثقافية الأخلاقية، وعبر النواة الحلمية، ليصل إلى مذاق الحياة الحقيقي. بذلك وحده يصير نسيج اللغة الشعرية نسيجاً مشعّاً.

لكنْ، هل يمتلك القارىء في داخله المناخ الملائم لوضع تلك الإشعاعات في إطار الفعل ؟ إذ من شروط قارىء الشعر أن يمتلك طبيعة قابلة للنفاذ. وتلعب الثقافة دورها في تهيئة تلك النفاذية، من أجل أن تتمكّن الأشعّة المنبعثة من النصّ من اختراق لاوعي القارىء وإضاءته والتحوك داخله. وبقدر ما يكون القارىء غنياً وحسّاساً، تلاقي تلك الأشعّة المناخ الملائم والسطوح العاكسة لها، والأزمات المتفاعلة بها، فتجري في ثناياها وعلى امتداد محارقها التحوّلات الإنسانية الكبرى: أحلام معلّقة، ورؤى ملحّة وأزمات مضت ودفنت في الأعماق، لكنها لا تزال فاعلة، متلقّية ومرسلة. فالشعر لا يقوم حقّاً إلّا بتداخل عمقين، خيالين، حلمين مشحونين بانفعالات إنسانية متباينة أو متلاقية: خيال الشاعر وخيال القارىء. وفي عملية الإخصاب هذه يأتي جنين زمني يحمل خصائص الشاعر والقارىء. هذا الجنين هو الخطوة الأساسية في التحرّك الشعري المتواصل، لمطاردة الحلم الممتد عمقاً حتى الإنسان الأول. تحسب نفسك قد وضعت يدك عليه. ولكنك تنظر فتراه آتياً؛ إنه آتٍ أبداً، آتٍ باستمرار.

- ٢ -

عملية الإبداع هي وجه من أوجه النوفض ونوع من الثأر وإحقاق الحق. والنتاج الشعري من أسمى أشكال النمو الإنساني، إنه إضافة أهم من تنامي الجلد والعظام.

لا يستطيع الشاعر أن يقرر، أو ينوي، أو يتخيّل كيف ستكون القصيدة. فالعمل الشعري لا يمكن تقدير شكله وأبعاده وهو لا يزال في المخيّلة. هناك يقع في «نظام» الحلم. ونظام الحلم هو اللانظام والتحول الدائم، ولغته مراوغة متبدِّلة. وكائنات الحلم لا تُدرك إدراكاً كلياً. تبدأ عملية الكتابة بتأطير الحلم وقسره في ظروفها وأشكالها وآلياتها. والإبداع هو هذه المشادّة بين نسيج الحلم الوحشي القائم في موقع التطرف والانفلات وبين اللغة المحكومة بالقوانين. وهذا الكائن المراوغ، ما تكاد تقترب منه حتى يتلاشى أو يغيّر شكله، أو يتسرّب من منافذ أخرى. وغالباً ما تخطىء الكتابة هذا الحلم الشعري، وتقبض على ظلاله وآثاره. ما أن نتجه نحوه بالوعي والإرادة وقوانين اللغة والأشكال حتى نجد أنفسنا بعيدين. هذا التأرجح الذي يلازم الحالة الشعرية، هذا التأرجح الحارّ المعذّب يؤدي إلى

www.akhawia.net

إلغاء الضبط الذي يخضع الصورة ويُحدّدها، وهو كثيراً ما يشطرها تاركاً أحد شقّيها ينزف في منفى الشك والحيرة والشطر الآخر في سجن اليقين. وحالة النزف الشعري حالة غريبة. إنها شبيهة بجراح شيشرون التي لا تشفى، ولكنها لا تبلغ حدّ قتل الصورة أو تلاشيها، بل قد تغذيها أو تحييها بالألم والتصدّع. لأن هذا التصدّع يمنح العمل الشعري حيويته ويشكل الثغرة التي منها يطل القارىء على ذلك الجوف المتعدد الأحشاء، المتعدد الذاكرات المتعدد الجدور الذي هو الشاعر.

- ٣ -

إنّ فترة اختزان الحدث أو المحرّض، أو فترة حضانته هي حقيقة إنسانية. الشاعر هو الجوف أو الرّحم أو الأتون البشري الذي تنتقل إليه شريحة حيّة من العالم. شريحة تتميّز بالغربة، لا تتوافق حركتها مع حركة العالم، أو مع درجة ليونته وصلابته. عندما تنفصل عن العالم يلتقطها الوعي البشري الذي يمتلك خاصية استيعاب تلك الشذرات الضدّية أو المتحررة واختزانها. وهناك تخضع لتحوّلات وتفاعلات وتدخل في تركيب عوالم جديدة أي تتحول إلى شعر أو أي شكل من أشكال الفن. وحقل العلوم الطبيعية ملىء بأمثلة مشابهة لذلك الانفصال. تقع شريحة العالم الحيّة تلك تحت فعل اللاوعي البشري وتقلّباته ولغاته المموّهة. فالشاعر عندما يتألم أو يظمأ، يتثلّج أو يتعرّق، يحلم أو يذعر، عندما يُضطهد ويُضام، ويُواجه الضغوط والعالم المتصدّع يرافق ذلك كله أنواع من الارتجاج ومناخات حرارية وانقسامات، فتبدأ الكيمياء الشعرية عمليتها عبر ذلك المخزون البشري. أستخدمُ هذه اللغة المجازية لأتلمّس الفجر الذي يطلع من ذلك العالم الغائم الغامض الفجر الذي نسمّيه القصيدة. فهذا التحرك الخاص في الوعي البشري ما يزال غامضاً وما تزال عملية إنضاج القصيدة مجهولة. وأعتقد أنها ستبقى كذلك. إذ كلما حاول شاعر أن يطارد بالوضوح والوعي تلك اللحظة أضاف إلى غموضها غموضاً وزادها أسرارية وغيبية. كل ما نستطيعه هو أن نحوم حول تلك اللحظة. وأوضحُ ما أستطيع قوله هو أن القصيدة قد تبدأ بحادثة حيّة، تغيب في وعي المدة الكافية للصيرورة الشعرية، وتتطور إلى حالة قابلة للاشتعال أو الصياغة الشعرية. لا قصيدة دون هذا الاختراق.

- ٤ -

تقوم القصيدة على إضاءات حلمية، تقوى لحظة اضطرام الطاقة التخيلية أو لحظة الانفجار الداخلي. أمّا إذا جاءت وقت خمودها فتحصل على قصيدة خاوية لا تحمل التوهّج الإبداعي. واللغة الشعرية أصعب اللغات، لأنّها ليست مما يمكن تعلّمه وإتقانه إتقاناً علمياً أو عملياً. وعلى الرغم من ضرورة المعرفة والتعلّم لتعهّد ذلك الحافز الغامض فإن سرَّ اللغة الشعرية يبقى دائماً خارج دائرة التعلّم. والحسّ الشعري حسٌّ خاص يقوم على خرق ما تمّ اكتسابه وتعلّمه خرقاً يعيد للّغة طهارتها. العادة تقتل في اللغة هذه الطهارة أو الشحنة الشعرية، وتحيلها إلى لغة حيادية عملية هي ما أسماه اللغويون «النثر»، مما دفع بالشعراء، فيما بعد، إلى البحث عن الانحياز والانحراف اللغوي والتجاوز. وهذا ما جعل

www.akhawia.net

التجديد القانون الضروري للإبداع. إلاّ أنّ فعل التجديد، لا يقوم في اللغة دون الانفعالات البشرية النادرة؛ الموقف الشعري الجديد وليد اللسعة الشعرية الجديدة، والعمق المتفجر باستمرار. فهناك تبدأ القصيدة الجديدة، القصيدة التي تترافق مع التغييرات البشرية وتطوّر العلوم الأخرى. فكل عصر له خلق معيّن وطبائع متمايزة، وقدرة خاصة على الاستيعاب وأقنية تعبير خاصة به.

- ٥ -

التطور الشعري نضال لتحرير الإنسان. وليس من قبيل الصدفة أن تكون الحركات الشعرية الثورية قد اقترنت بالثورات وحركات التحرر الاجتماعي من الرومنطيقية والسريالية حتى حركة الحداثة العربية. هذه الحركة لا تتم على مستوى القصيدة إلاّ لأنها تقوم على فتح الأبواب أمام اللغة الخفية ورفع الحُرْم عن عالم الحلم واللاوعي ليعيد صياغة العالم.

بل لم نر ثورة شعرية أو حركة تطور إلا وهي قائمة على قاعدة جماعية وان توجهها تألق فردي. والشعر حضارة كاملة لها أروقتها وأعمدتها وتاريخها الكامل. تاريخها هو ما تهمله التواريخ أو ما كانت تهمله حتى الآن. تاريخ الحساسية البشرية والحلم البشري ومعارك الإنسان مع القمع والحدود، تاريخ القفز خارج اللغة أو توليد اللغة، تاريخ الرؤى والمثل التي قادت الجموع ولا يمكن في حركة شعرية تطورية الانسلاخ عن هذا التاريخ، لأنه مهما بعد فهو يسكن تحت وسائدنا وتحت ألسنتنا ليلاً نهاراً. ربما لهذا ينبغي أن نفهم العداوة التي جوبه بها الشعر الحديث. للناس الحق في الدفاع عن أحلامهم مهما استهلكت أو هُتكت. ولكنهم لا يدافعون عن هذه الصور والأحلام وحدها بل يربطونها بالأمجاد السياسية والقومية، ويحمّلون المجددين مسؤولية الخيبات، ويربطون حركة التجديد بالغزو الأجنبي. لقد فات الكلاسيكيين في بكائهم وتفجعهم على القديم أن هذا القديم نفسه يجد في المجددين أرضاً أخصب ويتفاعل بحريّة أكبر، وهو نفسه الذي يشكل منطلقهم والقوة الدافعة التي توجههم نحو المستقبل.

- ٦ -

إن الحلم، هو بشكل ما، واقع آخر. واقع شفاف هيولي، واقع ممكن، بل هو رحم تتوالد فيه الوقائع. وتنمو بذرة القصيدة - الحلم لتصير واقعاً مُعْلَناً. كان الشعر فيما مضى، مرتبطاً بالسحر وبالقدرة الإلهية. والكشف العلمي مدين لتحريض الحلم الشعري الأول. هذا الحلم الشعري جعل عالم الغيبيات معموراً بشخصيات فوقية شغلت الإنسان ووجهت حياته. ومع أن الشعر قد صار اليوم فناً شبه مهتك، ومع أن «تقنياته» قد أرهقت درساً فإنه ظلّ المصب الأهم لذلك الماضي الغامض والبدايات البشرية الغامضة الرابضة في أعماق الشاعر. وعندما يتفاعل اللاوعي مع أحداث الواقع يأخذ إضاءات إنسانية جديدة لانتقاله من عالم المخزون إلى عالم الحركة من مكمن الظلام إلى حيّز الوعي والنور. فيتفاعل في الضوء وحرارة الناس والقلق الكوني. وعندما يتسع مدى التفاعلات حدودها القصوى يجيء

www.akhawia.net

النتاج الشعري عالياً خارقا.

لا يمكن نقل الرؤية وهي باردة أو ساكنة. لا بد أن تُضرم وتُدفع الى حافة الغليان. ولا تأتي هذه الحالة من الاشتعال إلا بالاحتكاك والتصادم، كمنشأ النيران الأولى: التضاد والتوتر أصل العالم وأصل الشعر. تضاد ما في الداخل وما في الخارج. أو تضاد مستويين داخليين، أو تعرّضهما للقسر، يؤجج الشعلة الشعرية، يخلخل سكونية المشاعر، وينتقل الشعر إلى حيّز التعبير، إلى الفضاء الاجتماعي. والنار الشعرية تختلف عن مألوف الانفعال الآني لأنها تملك صفة الدوام. والشاعر مسؤول أولاً عن استمرارها، عليه ألاّ يخاف التوتّر ولا يهرب من القلق، بل أن يشحذ تلك الحساسية ويُغنيها، عليه أن يغذي الجذور وينتظر.

ما تزال ولادة القصيدة مجهلاً لم تكشف أسراره. يمكن الكلام على طبيعة الشعر، ويمكن تحليل القصيدة، أما لحظة ولادتها فما تزال محيّرة. وإذْ أقدّم تجربتي الشخصية لن أجلو هذا الغموض، بل لعلني أقدم شهادة جديدة على ما يكتنف ولادة القصيدة من التباس؛ فأنا لا أجيد الصياغة ولكنني أتفجر، وتخرج القصيدة كما الصراخ. إنني أعامل لأكتب الشعر. أقاتل كجنود الإنجيل والتوراة لأحمي ذلك الشعاع الباقي من الانطفاء. الشاعر محاط بالقسر وبقوى من التفاهات والمتناقضات، والمآسي المشطة وعليه أن يقاوم عملية الرضوخ بضراوة، مع أن هذا القسر واحد من أغذيته الأساسيه. لكن متى رضخ للقسر وتخلّى عن المقاومة بطل أن يكون غذاء.

- ٧ -

أشعر أن لديّ طبقتين من الحضور، تتحدان عندما تضطرم الشعلة الشعرية، وتنفصلان في ما عدا ذلك، فيبقى بعض حضوري مع الناس وبعضه مع القصيده الوحدة اللصيقة بالشعر المتخصصة ببناء القصيدة تستمر في العمل ولو كنت خلف المجلى أو حوض الغسيل. عندما تحضر الحمّى الشعرية أخفّف من حدّة يقظتي، من الوعي بأشكاله المختلفة، وأستسلم، بمعنى أنني ألغي مقاومتي لأعماقي إلى أقصى حد ممكن. يلي ذلك عملية تدفّق داخلية، ترافقها عملية استسلام في الإرادة والحواس. ثم أدون ما أحصل عليه في مرحلة «اهذيان» هذه. وعندما أرتدُّ إلى يقظتي، أقرأ ذلك المحصول بصوت عالٍ، إذ ليس لديّ إيقاع اصطلاحي. هناك حساسية خفية أقيسها بالأذن والروح. هناك إيقاع أنفر منه، وآخر يحرضني حتى النشوة، فأقول «هذا رائع» أو «هذا لا شيء». وكثيراً ما تجيء الدفقة الشعرية مُربكة محيّرة. وتبدأ القصيدة بكتلة غامضة، معتمة، ثم تتدرّج نحو الشفافية، وأبقى هكذا حتى أقف عند شكل ما من أشكال القصيدة اللامنتهية. القصيدة عندي، هي دوماً غير منتهية، لكنها قادرة على دفع بذور النمو والتطور الكامنة فيها إلى حدّ من النضج. فأنا أعتقد أن القصيدة لا تنتهي، إنما تظل تحمل في أعماقها إمكانية التحوّل، من أجل أن تبقى مناخاً للحرية.

هناك صور شعرية تأتي بالصدفة، وتبرز أثناء العمل، وليس من الضروري أن تكون غامضة. إنّما أعتقد أنّ الشاعر يبقى في مسيرته وفي مراحل القصيدة محيّراً ومُربكاً.

تحت ذلك الضوء الخفي للشعر نكتشف خواص جديدة للأشياء، حضورا جديدا كان دائماً موجوداً، ومن صلب الحياة، غير أنه لم يكن منظوراً من قبل، كالكيمياء الجديدة التي

www.akhawia.net

كشفت علاقات بين أشياء اعتُقِدَ لزمن مضى أن لا علاقة بينها.

هناك جاذبية خاصّة بين مفردات القصيدة، بين صورها وعباراتها. الصور التي تضيء يدعم بعضها البعض، أو يأخذ بعضها من بعض، كذلك، أن تلغي جملة من القصيدة يعني أن تضيف شحنات شعرية لما يسبقها أو ما يليها. قد يكتشف الشاعر خلال العمل الشعري أنّ هناك فراغاتٍ في القصيدة، فيبدأ في ملئها وهو تحت سيطرة القصيدة التي تأخذ في الانفصال عنه تدريجيا.

ليست الصورة هي التي تصنع القصيدة ولا أي من تقنيات الشعر، بل موقع الشاعر فيها، توازن ما، إيقاع ما للأشياء، وضعية ما.

قد يحصر الشاعر الصورة الشعرية بين فاصلتين. لكن الذاكرة والحواس والانفعالات تقوم بعملية مزج مدهشة بين العبارات والصور. لذا فالفاصلة تساعد في التنظيم الشكلي للعبارة دون أن تقنعها أو تجزئها. فعندما ينتقل القارىء إلى الصورة التالية، تكون الأولى لا تزال في نطاق حسّه. وتسقط فعاليات الصورة الجديدة فوق ما تبقى حياً من تلك التي سبقتها. لذا نجد كل قارىء يخرج بفهم خاص أو فهم إضافي خاص، بشيء لا نزال نجهله، نجهل شكله وحركته.

- ٨ -

ينقل الشاعر عصره الى العصور المقبلة من خلال توجّساته وتلاطم الانطباعات التي تخترقه. يتفاعل توتره وقلقه مع أحداث العصر والماضي الساكن في العصر والجامح نحو المستقبل. ينخذ ذلك صور تطلّعات مستقبلية، يمنحها الشاعر إمكانية الإشعاع في الأزمنة والثقافات المتنوعة. الشاعر الأصيل هو الذي يفتح أبواب المستقبل لتعبرها القصيدة حاملة الصراخ البشري بطبقاته النادرة المحرِّضة. هذا الشاعر هو الذي يفتح حواسه على العالم الخارجي، على مياه المحيط البشري وينتظر الذبذبات الوافدة أو إشارة وقوع الفريسة.

الشعر مفترس كبير. يغتني بكل شيء. حتى العبودية تزيد غلبانه تدفعه حتى الانفجار، العبودية العريقة المدفونة في أعماقنا، الداخلة في صميم بنائنا. فالحلم هو المسبر الضاري الذي ينبش كل شيء، فترتفع الأحداث والعلائق الدنيوية إلى مراتب الحلم المختلفة سديمية وحارة ويكون الشعر متربصاً بالانتظار.

- ٩ -

الشعر جوهرياً عملٌ عفوي. مع ذلك لا بدّ من الثقافة. لا يمتد عمر الشاعرية بلا ثقافة. فالثقافة لا تكشف للشاعر العالم وحسب بل تكشف له نفسه، تجدّده. بها يحتمي من التكلّس والجمود. بالثقافة يستطيع أن يخترق السطوح المألوفة المنهكة، أن يرى بعيداً، أن يستعيد الكثير من طفولته، أن يجد الجسر بين طفولته وطفولة الخليقة. الثقافة التي أعنيها ليست التي تضع الكتب وركام المعلومات بين الشاعر والعالم، بل التي تمنحه القدرة على مزيد من الرؤية وتشحذ أحاسيسه، بحيث يستطيع أن يرى جديداً وكأنه كائن بكر يحمل عينين بدائيتين. يرى جديداً لأنه يرى وراء ما يُرى عادة.

www.akhawia.net

تظهر أهمية الثقافة عند الشاعر في المرحلة التالية للهذيان. ومع تلك التحولات في مسيرة الدفق الشعري تذهب القصيدة بعيداً في الغموض الناجم عن المسافات الشاسعة بين إدراكين، أفقين أو تطلعين: تطلع الشاعر وتطلّع الآخر. وتقرر القصيدة مصير العالم الذي يقف خلف تلك الأميال الحارّة والوهمية من النيران الشعريه... الأميال التي نجتازها بخفقة قلب، بانخطافة دهشة.

- ١٠ -

جسدُ الشاعر هو حلقة الوصل بين حلمه والعالم، أو بين الحلم واللاحلم، هو معبر الرؤية. إذ كيف تمرّ التجارب المعيشية الى اللاوعي دون أن يكون الجسد قد امتصّ قدراً كبيراً من الواقع، من جذبه أو صدماته، من تبادل السيطرة أو تبادل الهزيمة؟ عملية التداخل أو التفاعل هذه هي الزمن الضروري المتحوّل إلى شعر. تخترق هذه التجارب وعي الشاعر في عبورها التراجيدي المروّع من المناخ اليومي المباشر الى مناخ الحلم مخضعة الجسد لتقلبات هوجاء بين مهاوي الأرق وحمى المرتفعات. هنا كما أعتقد نلتمس سبب اضطراب الشاعر وسرّ نوهجه وتميّزه أكثر مما نلتمسه في الاغتراب والنفي خارج طوق العموميه.

كان الإحساس بالبرد، وما يزال، الرمز الأول للغربة أو المواجهة مع المجهول. لعل منشأ ذلك الرمز آتٍ من لحظة الولادة. فالطمأنينة الأولى كانت طمأنينة الرحم المقترن بالدفء. مناخها لا يعرف البرودة إلا لحظة الموت أو لحظة الولادة. البرد نقيض الرحم، وهو الخارج. البرد نفيض الحماية، وهو المشكله الأولى التي يواجهها الإنسان ـ الطفل. نظلّ لسعة البرد الأولى حيّة في لاوعي الإنسان وتدفعه لطلب الدفء حتى ساعة الموت. هكذا على السطوح الماصّة للشاعر يتساقط العالم، وإذ ينبض داخل شفرتيْ الجرح كقلبين، قلب للغبطة وقلب للشقاء، يولد الشعر.

- ١١ -

عندما يكون في الشعر عنصر محيّر، حيّز غامض، يوقظ في القارىء الذهنيّ شاعريته المهملة التي يحملها بالفطرة، يساعده ذلك الحيّز في جذب شيء ما من اللاوعي الفردي ليضعه في مدار الوعي الإنساني. وهكذا تغني القصيدة القارىء، حتى لو أدّت إلى مجرّد انقلاب في همومه وداخل ذاته. إنها تهيّء له المناخ، ليصل ذاته بالذات البشرية الكبرى. والشعراء المتباينون في آلامهم وطبائعهم ورؤاهم يغذّون الطاقة البشرية والشعرية ويجدّدونها.

أشهد هنا لغموض الشاعر أمام نفسه. وإذ يأتي الناقد ليكشف هذا الغموض، عليه أن يكون شديد الحذر ويسأل نفسه: هل يريد أن يكون شاعراً آخر أم جرّاحاً؟ لأن الشعر لا يسلّم أسراره للجرّاحين وإن أسلم تقنياته. عندما يحتوي الشعر في داخله على عنصر محيّر، فقاعة هوائية غامضة تمنح القارىء فرصته لأن يكون شاعرا عابرا ومجهولا، ذلك العنصر المحيّر هو بمثابة آلة تجذب اللاوعي البشري القابع في أعماق المحيط الاجتماعي ممثلا

www.akhawia.net

بالقارىء والناقد، بشعراء آخرين معاصرين أو شعراء أجيال قادمة. القصيدة الجديدة رافد جديد لنهر الحساسية والتصورات والآمال البشرية، والشاعر ربان مغامر يرسم خريطة الأمواج.

سنية صالح

www.akhawia.net

الطوفـان

www.akhawia.net

الطوفان

إنّك من الزّرنيخ يا سيّدي،
أفتح فمي كل صباح وأبتلع جزءاً منك
ولم تنته.
قلت سيأتي يوم أتوحّش فيه
وأفترسك
ثم أستريح.
جميع أدوية العالم لن تمنحني
تلك الفرصة،
لا أشنة البحار ولا بخور الأولياء.
وأديان العالم؟
هل نسيتك حقاً؟
نسيت بغالك وسياطك،
نسيت ذلك المسلخ العظيم
التاريخ
الذي يقال له شرفاتي؟
قرأت مجدك، وبالسياط رُدّت الصفحات
أطعمت كنوزك لحمي وعظمي،
فلم تشبع.
وليلي ليل، ومصابيحي عجفاء.
قلت،
أنهب الزيوت المقدّسة
علها تعيد أبصارنا
لكنك امتطيت جوادك وطرت الى الصحراء.

www.akhawia.net

ذاكرة النيران

كيف جاءنا وأسراره على فمه
ومياهه العذراء بين راحتيه
بينما أفواهنا تصرخ الحرمان؟

منح التماثيل كفاف يومه
ومضى كسور شاهق

كان ليل الطمأنينة يجري هادئا بين فخذيه
حتى غرّروا به
مع ذلك مضى بخطواته الصلبة
دافعاً رذاذه المنعش إلى الشّفاه
حيث ترقد الذكريات والرّغبات
ويكمن الحلم في ذاكرة النيران

لنفك وثاقه
ولو كان موروثاً
أنشر الأشرعة لزفيره المكتوم
نغسله في الماء الأمثل
في المرجل الشتائي
في نهر الأحماض
في نيرانه العالية وغليانه الدائم
ليكون لائقاً بظمئنا.

في المصنّفات والخزائن سُجِنتْ أنهارُه

www.akhawia.net

لكنّه شقَّ طريقه إلينا
أغمدوا السيوف في أحشائه
ونهض إلينا
تقوست عظامه
ونَهَدَ الينا

انحنيت
ألفه بالضمادات
ألطّفه بالعقاقير
لكنه غافلني وجرى في الشرايين
ولم يدر أنه وقع في كمين التخيلات

أيتها المياه التي غُيّبت في عتمة الرغبات
وهوت عليها الكلّابات
أيتها المياه المبعثرة في خرائط السرطان
أيتها المياه
أيتها المياه
مع ذلك ترسلين غناءك الحزين
طوال ليل الظمأ
طوال ليل الجسد
طوال ليل الجريمة

www.akhawia.net

الذاكرة الأخيرة

لست أقصد وحش العفن
ولا عواطف السماء المتقلبة الخؤون
لا المشافي المكتظة بالتوابيت ونجاسة المرضى
لا عبور المحيط بعد ان تشقه عصاي
لا الوطن الذي يثقبه قبري في الوسط كالهاوية
أو الغابات العظيمة التي غرقت في باطن البحار،
لا الشفق او الغسق
لا البراري ولا محطات الانتظار
أو ذلك الخيط الأسود الذي يقال له غربتي ووطني

خاصرة البركان بلا ضماد
أوراق تاريخ تفرز زرنيخها هنا وهناك
والذاكرة الأخيرة تنتظر على الشواطىء

وينادي منادٍ على الموت فأتقدّم
ولكنني أخرج من ثقوبه العليا كما دخلت
ممتلكة قصدي وغايتي،
من أجلك يا ابنتي،
لكنّ أوقيانوس الحرمان بيننا.
فجأة أجد قارة من الغبار،
أجلس فوقها وأغني لك الحنين
وأنا أدفع الموت،
أيتها الطفلة التي تفد الى ذراعي
تحت مظلة من الربيع والدموع

www.akhawia.net

لكن نعاس الموت وحراسه دون هذا الاقتراب .

يا ابنتي ،
إن تاريخ المذابح وأجساد النساء ،
مسيرة العبيد الفاشلة ،
الاعناق المحنية أمام الطغاة والجلادين
جميعها تمنعني من الاقتراب

وتدور بي عجلات كعجلات الطواحين المائية
ولا أقوى على الاقتراب
فمن أين تجيء المسافات
وأنت في قلبي ،
يسارك يساري ويمينك يميني ؟
ألغيت جسدي ودخلت نفق حلمك
ولم أقو على الاقتراب
أعلنت العصيان على الموت وعلى الحياة
أخذت أركض في الظلام دون ان أدرك المخرج المائي
ولم أقو على الاقتراب

طيور الظهيرة تنشد أناشيد المساء
وأنت تهدرين في داخلي كأفواه الأنهار
وكأصداء المحيطات يشرق نشيدك
يَجذُبُ الظلام من قرنيه
يضيء الأفق والزبد والموج

www.akhawia.net

عيون السمك وأجنحة الطيور البحرية
وتخلع البحار ثيابها الليلية
لكنني لا أقوى على الاقتراب
أيتها الذات التوأم
يا أجنحة المحيط وزفيره المنعش
ستحملك جزره الى المتصوفة والهائمين والسرياليين
ستنقلك الى أحلام الماء وأشواق الربيع
بينما تغافلني ريح المنعطف
وتخطف غباري.

باريس - فيل جويف
تشرين الثاني ١٩٨٤

www.akhawia.net

أيها الخداع يا جسدي

أيها العشّاق
ضعوا العَنَفات في مجاري الجسد،
المولّدات الكهربائية على مصبّات شراييني،
سابرات الغَوْر،
الكشّافات الضوئيةَ،
استخرجوا كنوزَه جميعها،
عصاراته، أحجارَه،
وليكن خاوياً قبل ان يرمى الى القبر.

أمّا أنت أيّها الخداعُ الكبير،
فقد ظننتك ميتاً لا محالة
لكنّك قاومت أكثر مما خُيل اليّ.
تظمأ،
فتشرب الخمر وتهذي،
تتريّض فتجدّد عظامك
وتهبط مشتعلاً إليّ.
والآن
هيّا، طاردني من أمّ القُوَيْن
إلى قوزمكان،
جنازةُ العاشقة
وعرش العاشق
انقراض القبائل وصمود عظامها
على العتبات
وقبائل من العشّاق الغامضين

www.akhawia.net

في أنفاسهم رائحة السراي الأناضولية.

كيف لنا أن نحذر عشّاقنا الترابيين
وهم نارنا الخالقة
والجمرة الساقطة في مجرى الأفلاك؟
هيّا نقتسم الكون:
ما أمام الأفق لكم
وما وراءه لي.

كيف نكتشف لعنة الحب دون عشّاق
مهووسين؟
كيف نكتشف الرصاصة ما لم تمزّق حرير الهواء؟
وشوك الموت ما لم ننجب ونقاتل؟
الذاكرة في العراء ورسائلها في الخزائن
خيوط المطر تحوك لباسها الخريفي
والمياه في نومها الدّهري على الشّفاه
تدخل وتخرج
كالرّوح، دون ان تتجزّأ.
نحن العشّاق الناجحون
يئسنا وكبرنا،
شطرنا الطّاغية
فصرنا الجسد والظلّ،
أمّا أنت،
فقد عسكرت طويلا على الشواطىء،
وعسكر الموج والمستحمّون،
وعسكر أطفالي وأحفادي
وأخذوا يبتعدون
حتى شَطَرْنا الأفق
وهوينا بين الفقريات واللافقريات

www.akhawia.net

عشّاقاً مهووسين.

أيتها العاصفة ذات الأضراس،
أيتها العابثة،
لماذا وضعت حجارة لهوك في رأسي
حيث انكسارات التاريخ،
القتل والإلحاد،
ومتاهات الفضاء؟
اتركيني لغربتي وغموضي
اتركي حبي الكثيف الخانق
فالحلم البتول
يلد الحلم المدنّس تحت شفرة الرغبات.
عسكري على الشواطىء،
المحيط يبحث عن الليل
يستطلع فأل الكون.

يا قمح الإغريق،
نحن العشاق أبطال في المجاعات،
نضرم الحرائق
لنكتشف حدود النّار فينا.

بدون قتال
لن يكون حب أو حصاد.
الوردة الشتائية ترفض الذّبول
وحيوان الحصار ظامىء.
أيتها الكروم
امنحيه ما يكفي للهذيان،
مثل سكّير على رصيف،
يطير بأجنحته الفضية

www.akhawia.net

الى عوالم مرتجلة،
أو قمر بين المكانس
هزيل الضوء غائر الخدّين
وقع في شِباك الغيوم.
أيتها الكروم...
ما من ضوء انتصر على ظلام
ما من شجرة غلبت عاصفة،
ألف قرن من بناء العنابر ودور العرض والسكن
ولا شيء يكسر وحدتي.

باريس
شتاء ١٩٨٥

www.akhawia.net

مليون امرأة هي أمك

www.akhawia.net

تخرجين من أسوار الجسد

الى شام وسلافة

(لأن سيميليس اشتهت
رؤية وجه الله، وقع على بيتها شعاعه، فولدت وهي الإلهية
ثمرة العاصفة. .)

هولدرلن

أيتها العصفورة
يا ابنتي
دفاعك البريء يشعّ فيّ
فأضخّ روحي في صدرك،
احقنها تحت جلدك كالعقاقير،
الليل يدقّ أجراسه،
هل نويت الغناء؟
لصوتك الرائع يخشع المصلّون
ويصغي الإله،
يأتيك بالطعام الملكي.
لتكن خطاك حكيمة في الامتلاك الصعب
للقلب المضطرم

ها هو العالم يدور
يُسحب قسراً من أعمارنا
ليُمنحَ بالمجان للّصوص والسفّاحين،
اضرميني يا ابنتي جدّديني
لقد تعفنت في النسيان

www.akhawia.net

يردمون فمي ، ولكنه عميق لا قرار له .
أفسَدوا ذاكرتي بالفجوات ،
بهندسة الجوع
بتقلبات الجسد .
تريَّثي ،
أطيلي بقاءك في جوف الزمن
وفجّري ما يندر انفجاره .

ها هي الأرض تصعد معنا ،
كي لا تسير في هواء الافتراضات ،
تتقدّم نحو الحلم
تطير كالفقاعة في فضائه
حاملة أطفالي الى اللازورد ،
شام تقف في المقدمة
سلافة تهزّ شجرة الغيوم ،
فتسقط الدموع كلها
الدموع التي أغفلها التاريخ
الدموع التي أنكرتها العصور .
يا ابنتي ،
هيّا نلهب جراحنا في الحمّامات المعدنية
للأمّهات الشقيّات ،
من قال إن الموت يُبلي الانسان؟
جدّتك صارت نجمة في ليله ،
جدّتك الخيالية ،
جدّتك الوهمية ،
جدّتك المسحورة ،
ما أن رفعتِ الحياةُ سوطها القاسي
حتى اختفت .
كيف؟

www.akhawia.net

لا أحد يعلم.
جدّتك الشجر الكثيف،
جدّتك الزرقاء
وأحياناً القرمزية.

الصّغار ينتحبون على ركب الأمهّات
المهانات في الغرف المعلّقة كالصناديق
على حافّة الظلام
بين أقوام يغوصون حتى الركب في المجاعات،
يبصقون على الخصب
وقد تنكّر لهم،
يبصقون على الأسرّة
أدمنوا النوم في العراء.
الصغار يدفنون رؤوسهم في نوافذ الأولياء
تتأرجح صررهم
بعضها يسقط
والباقي لا يشبع كلاب الطريق.
أمّا أنا يا ابنتي،
فقد كنت أدفن نفسي في الظّلام وأبكي،
أية وحدة تأتيك تحت الغطاء!
بين أقوام يغوصون حتى الركب
توحّشوا من الجوع والقسوة
غرفهم تتأرجح
يملؤها هدير بشري غامض
نوافذهم تمزّق الظلام
وسلالمهم تئزّ
لم تعد أغصاناً قوية يافعة،
حتى الاختناق عجز عن كتم أنفاسهم،
من ذاكرتهم يتدفّق هواء الحقول

www.akhawia.net

الظلام يهدر من تحتها
يهزّها من الجذور
يمرق في المفاصل
عابراً مجاريها الضيقة
الظلام يدفع الغصص في الأحشاء . . .

ولكنك الآن يا ابنتي
تتكوّرين دافئة في أحضاني،
تبعثرين شعرك الأسود
أو الأشقر
في الاحتفالات الخانقة .
عانقيني . . . عانقيني
فذكرى السنين الماضية لا تلمس الا بالروح
أو بورد الشفتين .
عانقيني
لقد عبرتني آلاف السنين الوهمية

يا ابنتي
شام الملولة
أو شام التي تهبّ مسرعةً الى العمل،
شامُ الانبهارات
لستُ معكِ،
ولن يلتقط شِعري عذوبتك
فأنا مشوشة بالخسارة
استنجد ببراءتك
بضعفك الطفولي
وأصلّي بحرارة ويأس
كي يصير قلبي الضعيف بحجم قدميك .

www.akhawia.net

زمن يزحف من تحت الأبواب
ليتمكن منّا
وعندما أردّد اسمك
أشتد كأفراس وحشية
ها أنت تكتبين يا صغيرتي
أيتها الحارسة الذكية للسلالات
لقد منحتك روحي ،
حجم العين وشكل الهدب ،
الأطراف الرخامية ،
الزرقة والشّقرة ،
ولّما جاء الصباح كنتِ مكتملة .

أيتها الطفلة الفوضوية
ماذا أفعل لأضعك في مخطّط النظام؟
ولكن لا ،
لن أرتكب هذا الخطأ .
النهارات تنطلق كالحمّى في جسدينا
والبكاء يصعد ويهبط في الأسواق . كلّما نهضت
سمعت أفراس الهواء تصهل
فيرمي القلب عليها بأثقاله .
يا ابنتي ، يا جذري العميق
أنت خطئي وصوابي الأعظم ،
هيّا العبي
صار العاشق إلهاً لأنك من جنونه .
يا ابنتي
كنتِ وحيدة فتجزّأت
وبقيتُ أتجزّأ
حتى خلقتِ شعباً أنتِ أسطورته .

www.akhawia.net

يا سليلة الريفيات
يكتُمْنَ صراخ الولادة
ثم يقذفن بالأجنّة الى أحواض النحاس،
والجوعُ يقرع طبلَه في الأحشاء
والفقر يعرّي العظام،
مع ذلك أضأتُك بأعظم الرّغبات.
تخرجين من أسوار الجسد
ومعك أجيالٌ يضيئها عبورُك الصاعق،
إنها الولادة فلا تخافي:
نبدأ عراكنا العظيم،
تلتقطين ظلي وتُنهضينه،
فيهوي، ثم تنهضينه
فيهوي من جديد
أنت أيضاً صار لك ظل
وصار يهوي.

يا صغيرتي،
يا غابة الألهة والنّساء الخالقات
نتألم آلام الفراق الأعظم
نتشنّج ونصرخ،
يتمزّق جسدي
ويُحشَرُ جسدك في عتبة العالم الأولى
ثم نصرخ.
لا تيأسي، واتبعيني،
ففي قلب الأدغال المجهولة
أدغال رامبو و لوتريامون
أشياء رائعة خُلِقَتْ لنا،
في قلب الأدغال
شجرة للحلم
فاتبعيني

www.akhawia.net

ثقوب الليل

وعداً يا أمي
ان أسوق دمي ليسفك وحيداً في العراء
مثلك.
الليل العالي
يبحث عن نجمة تصيرين إليها
نترصّدها، علك تهبطين
أو تبعثين شيئاً من نِعَم الأخرة
لنا، فقراء الحياة.
اثقبي الليل بتُقاك
بفطنتك وغموضك
علّمينا ما الولادة وما الموت
وأي جلد نلبس في تحوّلنا الكبير؟
أي ليل نغيب فيه
وأي فجر لانهائي
للأرواح والحرير والذكريات؟
أرى عذاب الأرواح في الولادة وفي الموت
في الحب وفي الكراهية
في الاعتلاء وفي الهبوط
مع ذلك
تخرجين لملاقاة نارك
وقد احتست خمور الذات
وأفيون الفراق
مبهمة غامضة
صامتة ومطيعة.

www.akhawia.net

كيف جرّدوك من الهضاب والوديان ،
من الربيع والخريف
من الشجر والرّضى
والفضاء مليء بالأحقاد؟
وعداً يا أمي . . .

www.akhawia.net

امرأة من الطباشير

ينبشون المستقبل من أحشاء الرمل
يتقلبون في السنّ
وفي المزاج
ليروا أين يذهب الزمن الذي يحبون
أو يرحلون في النّار
وألسنتها تروي الغرائب
أمام سلوقي وحيد.
إنه الطقس اليومي لتحرير الخلايا.

امرأة من الطباشير
تعانق عشّاقاً من الرمال
دون ان تطلب فواتير الخسائر
ولا إيصالات بالآلام والأحزان.
تعبر العواصف
تدخل القاطرات المسرعة
تخوض جوف الرّغبة
بصلابة المقهورين وجشع المحرومين
ولهاثها ينطلق كالدخان
من الشرايين والأزقة.
ومثل لصوص مذعورين
تفرغ حمولتها من الأحلام والرغبات.

كيف يدخل الربيع والحب
الى جسد تحكمه الخسارة؟

www.akhawia.net

كيف تُستأصل الكلمة من الفم المطبق؟
والشقاء رصاص يطلقه شخوص وهميون
يداعبون القلب بضراوة
تتبعهم الى المغاور
والطباشير يتساقط منها.
فتطلع غابات الأشواك
وتسقط نقابها البلابل
ينطلق الأطفال بسراويلهم القصيرة
خارجين من الطفولة
يتقلبون في السن وفي المزاج
يصرخون،
قلب من هناك قلب من هنا
تحملهم القطارات
خارج جنون الريح
خارج أفراح النار.

كان ذلك فيما مضى
لكن الشفاه صدئت
صديء الكلام
وجفّ حبر الرّوائع.

www.akhawia.net

العاشق الوبال

منهزمة
تنطلق العاشقة
من فم المداخن، من ليلها الطويل
بأطفالها وخيولها
تستسلم للريح

حشدُ من العشّاق السفّاحين
يطاردونها

ـ حذار أيها العشّاق وإلّا تجزّأتُ
أنا المرأة المتعدّدة
خلقت من أجل الطِّراد العظيم
من نسل عاشقات منهزمات

الى مواقد الكون انحدرنا نُفرغ نارنا الكوكبيّة
نكتشف ملكوتنا المؤقت
وحكمتنا المنهوبة
ونشهق كما في الولادة.

هيّا طاردوني
طاردوني كجنود اسطوريين
على خيولهم الرخامية
طاردوني في الالحاد وفي الايمان
طاردوني في الانكسارات

www.akhawia.net

من خلال كبوة الذّكر وارتعاش العظام
طاردوني في أحشاء الأشجار
في كبد العواصف المعدنية
حيث أختفي
كسيدات القصص الخرافية

نوافذ الهجر تتقابل
والكلام يمرق بينها كالبرق
أيها العاشق الوبال
شطرْتني كما العاصفة
فهويت في شقوق الفجر
وفي أعماقي ساطع الجنون.

www.akhawia.net

يمضغني كما في المجاعات

لستُ أهذي
لكن شقائي هو الذي لا يُصدّق.
تمضغني أصنام الجاهلية
كما تمضع الأحقاد في الحروب،
او كلقمة في المجاعات،
ويحوم الجنون
كعزف ماجن فوق رؤوس الحزانى
تزعق أوبرا خيالية
احتفاء ببؤساء هوغو
ودوستويفسكي
فهل من يعيدهم الى منفاهم الصامت
أم يهربون
وأقدامهم مفرغة من العظام؟
الرصاص لم ينقطع منذ العصر الحجري
فهل نجتاز مضيق الولادة
والليل ينفضنا كالسياط؟
القمر الآشوري ينوس
وكأنه يحرس النهايات
نقتل اللغات كلها
وتنقلب الهموم صواناً في الرأس
وصخراً في القلب
وأخون الجهات كلّها
أخون الكارثة
امسك روحي وأطلقها من النافذة
كما يطلق الحمام الذي لا يعود.

www.akhawia.net

مليون امرأة هي أمك

أيتها الغابة التي أشعلها جسدي
اقتربي
تجاوزي ما لا يمكن تجاوزه
اهمسي حفيفك الدّفين في فمي ،
في أذني
وفي مسامّي جميعها
ارفعي غطاء عصيانك
وأزهري
في القبّة المثقّبة لجسدٍ متهاوٍ.

أليس الشتاء قاسياً؟ وكذلك الزمن
والثلج؟ . المطر والعواصف؟
لكن ، آه ما أجملها وهي تمضي .

لم أعرف للنسيان ساقين
مع ذلك يذهب ويجيء كحصان جموح
بانتظار ان تسقط الوردة البرونزية
من أعالي الغصون
فإن وقعت على ظهره طار بها
أو بين قوائمه رفسها

أيتها الغابة التي نوّرت في جسدي
لا تخافي
لقد خبّأتُ روحي فيك

www.akhawia.net

أو بين شقّين قويين كالجيوش
(مع ان الجيوش لا تعرفنا ولا تبالي).

أغرقي رأسك فيّ
اخترقيني
حتى تكاد عظامنا تغيب داخل بعضها البعض
وَلْنكنْ متجاورتَيْن
متشابكتيْن كثنائية القلب،
المسيني كما يلمس الإله الطّين
فأنتفض بشراً.
كيف الهرب يا حبيبتي
ونار قلبي تركض في الجهات كلّها،
في الكلام وفي الصمت
من أجل ان تولدي ملايين المرّات
في العصور الأكثر غرابة
يا غابتي الشقراء
شدّي جَزَعك الى جَزَعي
ادخلي عظامك في نفق عظامي
ثم اسحبي ما تبقّى من جسدك واعبري
ستكون امامك ممرّات طويلة ضيقة
والحقيقة تكمن في أشدّها ضيقاً
حاذري ان تنسَيْ أنك ذاهبة
لتصرخي
وترفضي

www.akhawia.net

لا لتنحني.

ها هي أشباح الدنيا تتقدّم
فاختبئوا
واسترقوا النظر من شقوق النوافذ
أو ثقوب الأقفال،
كلّما مرّ إله صفّقوا له،
أو تسلّقوا حوافي الشاحنات
واهتفوا: دمُ القمر من دمه
ولحمه من نسيجه
ولكن متى ستأتين لأخبرك سرّا
من هو الإله الحقيقيّ.

كان المطر القاسي ينشد نشيدا عسكرياً
ويطلق رصاصه على الجذور
(كيف وُلدتِ وسط ذلك العراك؟)

مُر الوادي يا إلهي
أنَ يأخذنا الى النبع الأصيل
والجبل إلى القمّة الحقيقية
وإذا كان الظلام العظيم يفرّ أمام السوط
والحقيقة تنبطح فوق بلاط الجلّاد
والأبجدية تنقلب قوانين جائرة
والشعراء غباراً على المناضد
سألفّ زمني وأخبئه في صدري،
وإذا ما رأيت ظلّي حسبت أنّني أزحف
لأقضم خبز المجاعة الناشف.
لكنّ قدمين من الحجر لا تخطوان.
هذه الظهيرة كالاسمنت
ورماح الصقيع تبتر الأطراف

www.akhawia.net

أرواح لها طعم الخبز يقضمها الهواء
مليون امرأة عارية يغتسلن تحت المطر
ثم يستسلمن للطوفان .
مليون امرأة هي أمك يا صغيرتي
تفكّ خيط الأفق
ليصير الموت مؤقتاً كالنوم .
فلننبش العبيد والأرقّاء
ولندفن سادة الجوع ،
فتحت الينابيعُ فمها الأبيض
وأطلقت نداءها الفاجع
(واهَوْلَ فراق الروح)
مع ذلك تترك الينابيع في أثرها
أزهار الجيرانيوم والورد الدمشقي .

يهتف الغابرون :
أرواحنا اغتُصبت
ودفعت الى صدور أخرى ،
بوثائق مزوّرة
كان الطوفان يلدهم كما الأنثى
لكنهم ليسوا أبناء تلك الغابات الشيقة
التي نامت في سريره مئات الأعوام
ولم تنجب

أية قدرة غاضبة
تنتزع الأجنّة عنوة من أرحامنا
دعوا ذلك الطوفان
يحيك سرير وحدتنا ،
ماذا يفعل حيوانه في كبوته
والشتاء يضربه بجناحيه كالنسر؟
في جسده ملايين الأمواج

www.akhawia.net

الشوقُ المزمن الى الأرض
والنوتيّون الغارقون
بظهورهم المخطّطة ضلعاً، ضلعاً
يخرجون من باب المياه الزمنية
ببصيرة أمضى،
يقولون
الغابات التي دخلت جوف البحر
ستورق من جديد، لأن قلبها لا يموت.
هكذا، عندما يقفل الزمن بابه على الجميع
أدخل قاطرة الموت برضى
أمسك خيط الغياب وأجذبه
فتأتي ذاتي الخيالية
ذاتي التي ولدت من رحم المرايا
بكلامها الغامض المريع
لكن الأجساد الخائفة تفرز ما ينجيها
وها هو باب السلام يفتح
بين الجنة والأرض.
الحياة وحدها تأخذنا وتعيدنا،
لقد بَطُلَ الموت،
وانقرضت الديدان
وانشقّ الحجر البشري
لتولد الأجيال
أمّا أنا
فسأحجز بويضات الانجاب
في رحمي
لتعيش هكذا، عذراء
من أجل ألا يُحشر الربيع بين الرصاص

دمشق

www.akhawia.net

على زغب المياه

www.akhawia.net

معبد الشمس

إلى السيدة الأولى أنيسة مخلوف التي رعتني في مرضي
ودفعت الظلم عني

تلحّ في رجائها وهي تنحني
لم تترك إصبعاً أو كتفاً أو جفناً
إلّا وضعت فيه الكلام والرّجاء والشكوى،
وكانت الشمس تصغي بكلّ ما أوتيت من رحمة،
يرتدّ غطاء رأسها الغامض أو يحجب بعضاً منها،
وهي تحار لماذا ينسحق الانسان هكذا.
وكان على رأس المرأة كثير من ورق الألام
نبت شوك الشقاء على طول صدرها وذراعيها،
ترفّ بعينيها المريضتين
وتنحني
كأنّ ريحاً غامضة جذبتها من الظهر،
ومن الكتفين،
تخال أصابعها ألفاً وهي تشكو
وشفاهها مئات متلاحقة،
مع ذلك لم تبلغ، كل ما في جوفها من الظلم والخسارة.
ها هي الشمس تسطع بطوق من اللؤلؤ وعيون من نور
والمرأة تترنّح:
يا سيدتي قد تصير الحديقة غربة مريرة،
والسرير براري موحشة.
فأومأت وهي تعتلي هيكلها الموقّر

www.akhawia.net

ان اهدئي أيتها البائسة .
وكان هواء القصر يحسر وشاح رأسها
أو يغمرها فيه
وهي تشير بإصبعها كيف تعرج المرأة
أبواب السّماء،
وتمشي بتؤده على حصى صلبة من الهواء
تعبر الليل والنّهار الى كهنة العطب،
حيث يأتمرون .
ثم جاءتني بعصا تعرف خيراً منّي كيف أنجو
فتوكّأت عليها
ومضيت
أضرب بها أفلاك الأرض
ومعارج السّماء
أستقي من ماء وأبصق آخر
أي نهر هذا الذي يقولون إنه
يعيد الصّبا؟
فلن أرتوي حتى تعود إليّ طفولتي،
أريد الحياة مرّتين .

باريس ـ فيل جويف
تموز ١٩٨٤

www.akhawia.net

ملايين الأرواح خارج غطائها

دعيني أفكر يا سيّدة البحار
التي تمنحنا الهدوء والامتداد الحيّ
الرّغبة في أن نكون الشجرَ والربيع
يا سيّدة الماء
الأشجار باسقة والأفق مديد
ولكنك أسطع ما في الذاكرة
وأعمق ما في الوجدان.
نيران المحبّة تعمّق بصيرتك أمام الخراب
لا الأنهار تنساب فوق لساني
ولا المحيطات تمخر عباب جمجمتي
تطؤنا نعال الذكورة ونحن ممزّقات
فأي سيدة ترفع الحطام؟

كانت الأحصنة لامعة تحت شمس الليل
والماء جديداً في فم الرّغبات
حين تسلّق بياض الصباح رئتي
وهجمت الريح صوب أعماقي
هكذا لَمستها السيّدة بشفافية روحها
سيّدة الأضاليا تجلب الربيع
أعلى من قامة الأطفال
وأكثر اشقراراً
من أجل أن تشتعل تلك الوريقات
وتنجو بنيرانها
سيدة الصباحات
في فمها سحر وفي عينيها أسرار

باريس - فيل جويف
١٩٨٤

www.akhawia.net

على زغب المياه

إلى ابنتيّ

أيها الزّمن الذي يغنيّ بحناجره جميعها
أغاني الفراق،
في رأسي غربة ثقيلة،
وأنتما في العظم والقلب والمفاصل.
الزمن يتفرّق ويحتشد،
يمدّ حبالاً شدّت إليها أعناق
فأصرخ: آه يا ابنتيّ،
أتذوّق زغبهما الزعفراني
فيقاطعني الرمل والدّم والتراب.
أيتها الموجتان ذات الديانات السرّية
يا ملح البحر وزرقته.
فوقكما تعبر سفينة جنوني
ولحم السفينة يلين ويرقّ على زغب المياه
على إبط المياه المنحنى.
يا وطن الزرقة والشقرة
يا وطن شام
وربوع سلافة
جميع خيول الشوق أطلقتها
صوبك
ولا تزال مجنونة في دمي.
أنتما اثنتان
أنتما واحدة
أنتما اللانهاية

www.akhawia.net

البر والبحر والقبطان والشمس الساطعة
والرحيل والعودة،
الأعراس والولادة.
جميع الحروب عاجزة أن تنتزعك
من عظامي
يا نهاري، أنتظرك
فأجدني أنتظر الليل
لأضم طيفك كالجسد
خذيني يا صغيرتي
تأبطيني كلحم ذراعك
فلن أقوى على الفراق.

www.akhawia.net

شيء ما في صدر الريح

كيف عرّى ذلك الشتاء
طوفان قهري
والذلّ المتدفق في عظامي؟
استدرت علّني ألمحك في الأفق الغامض،
في رمل ذهبيّ
يتحرك مُريباً في القاع،
آه ذلك القاع
اقتحم طغيانه سكينتنا
تعقّب رغباتنا الخفيّة وأسرارنا الحميمة
حتى صرنا مَعْبراً للكون ومخبأ للجنون.
أيّة خيول تعبر الطوفان إلينا؟
أي شتاء للطغيان؟
ملايين الطعنات غاصت في الصميم
والأسلاف خلايا حنين، هيولى الرّغبات
ذاكرة عنيدة.
إنها الرحلة الصعبة لامتلاك نيسان
حيث ينمو وطنٌ مثل جنين تمزقت أحشاؤه
ومضت الرياح بأطفاله العراة ونسائه المطعونات

ها جسدي يحاصره غزاة من الأشباح
في فرز متوحّش للأيام والنّقود
يستأصلون الشتاء العذري من دمي
أنا الأرض وأحلامها
يضعون بيوضهم في الأغوار

www.akhawia.net

فتطلق جنيناً شرهاً
يقرض الخصب والجسد
ويذيب ملح حماستنا

شتاء الأيام الرخوة
ينتفض عصبيّاً حاداً
يطاردنا، نحن المهرولين في الأرض الجرداء
مواطني الاحتمالات
مزارعي الشكوك
نتّكىء على جذع الأمجاد الغابرة
وصدورنا تأكلها الحرائق

كيف عرّى ذلك الشتاء
طوفان قهري
استدرت علني ألمحك
في رمل ذهبيّ
يتحرك بكراً في القاع . .

www.akhawia.net

البحيرات المُدانة

البحيرات المُدانة
تتدلّى في فراغ الخريطة،
كالخرز الأفريقي،
تتأرجح بين الرياح العدوّة
والصديقة.

يا ابنتيّ
أيتها المتعدّدات
يا حارسات البحر الصغيرات
هل ترقبان وجبة البحر المثلى؟
عشاءه الرباني؟
أيتها الصغيرتان المتعددتان
فوق الجسور المقشعرة
النمش المنتشر على الأنف وفوق الوجنتين
والقبلات الصغيرة تجعلني
حزينة كأبراج الكنائس.
كنت أنشئكن في سريركن البدوي،
والعالم يقذف بمائه للمجهول،
والقلب عاصمة للعنف
والطوفان يقضم الركب.

www.akhawia.net

المحاكمـــة

www.akhawia.net

قمر رطب

هناك حرب بين شقّي الدّماء
ممّا دفع بوفود الاملاح والأحماض
وهي ترتدي جلابيبها القيصرية
الى المعركة،
تملأ الكهوف بتبغ العالم
حيث يطلّ القمر عفناً أو رطباً
ترفس الأبواب الى علب النوم
لتنقل إليها الكوابيس بالمصاعد
وخراطيم الاختناق
والمكتبات تغص واجهاتها بأخبار المدنّسين
والمجذومين، والمصابين بالطاعون
بأخبار لقطاء التهمت أعضاءهم كلاب الشّوارع

أيّها التّاريخ العفن
يحقنون كبدك بمصل الحياة
وأنت في باطن الأرض
حيث الفضلات والذكريات
صفّارات إنذارك أخرستها طبول القيصر
يقذف البيض والحمر أشلاءهم الى مجاريك
لا يدفنون الموتى، ولا يقيمون الجنائز
ومجاريك صاعدة هابطة ومتشعّبة
من خلف الحرائق العظمى نطلّ عليك
وفي زمن الصمت نتحدّث

www.akhawia.net

عن جمر يلد العظماء
وجمر لا يترك غير الرّماد

فيل جوبف
تموز ١٩٨٤

www.akhawia.net

المحاكمة

أنا المرأة الرّهينة،
السلفُ يطالب بي والخَلَف،
وأنا أنتزع نفسي من فم الفراغين،
أحلم بآخر الكون،
علّ المجد البشريّ يشهد النهاية
ينتظر طويلا حتى تنتهي الحضارات
العشّاقُ والشعوبُ
أو ربّما، تهاجر،
وتبقى الأرض لي،
لي وحدي.
لأكون حواءَ الرائعة
لكنّني صحوت
فوجدت الحراب تطوّقني،
لقد كان حلماً أيّها القضاة.

يا سادتي القضاة،
الخريف يمزّق قشرته
مذعوراً من الفراغ والوحدة،
عصبيّاً
أرقاً
يتسكع وحيداً في شوارع الرّمل
مشغولاً بأفكاره،
يعلن الهجرة
لكنه ما يلبث ان يعود مجذوباً

www.akhawia.net

بحبّ الوطن
يضرم نيرانه ويزرع رماده،
لكن من يحصده
وفي أعماقه الامبراطوريات
والجيوش المفكّكة
رغم أزرارها اللامعة؟
الجيوش التي تعسكر في ممالك الكبد
أو تغور إثر الأحشاء بذخيرتها النفّاذة،
تسحب نهارها من الأسواق
ذي لا يمرّ نسغ الذات
داخل الغابات الخريفية
في كنيسة الجسد المتقدمة.

أيها السادة، هي ذي أنهاري
تدفع بمحصولها المائي
الى فم المحيط.
الضريبة التي فرضتموها تؤخذ عنوة
أدفعها الى جوف خزائنه
حيث يكنز ذهبه وذكرياته
حيث تنام الامبراطوريات
ودموعها ملء عيونها
تتّكىء على أدراجه
او تتمدّد على رماله.
إنّه يتعامل مع الجسد والروح
كزبائن قدامى
لكنه يلتهمها عندما يجوع.

أيها القضاة
إنّ كلمات العدالة التي بين أضراسكم، ليست للمضغ

www.akhawia.net

ابصقوها هنا في راحتيّ، لأضمّها
أدفعها أمام الأفواه
أغتسل بها
وإلا ما نفع ذلك الماء الذي
يدور في داخلي
ان لم يمنح للمحيطات العظمى
حيث تموج دموع التعساء؟
فمرحباً أيها الهدير الخالد
أيّها الصراخ الطّالع
لكي أشق ذلك الهدير الغامض
أحمل وطأة موتي.
ينصحونني بقبوله
ذلك الموت
يغرونني بالاستسلام له.
لكن،
تأخذ الريح شلواً من جسدي
أجري خلفها وأعيدها
وعندما تأخذ آخر وتلهو به
أهجم ثانيةً وأعيده.
هكذا دارت الحروب على
مداخل الجسد،
حيث يقف رجل من النحاس
يلقي القبض على ما يفرّ من الذات.

أيها القضاة
نصحتموني بالألم والتشرّد
بالحرمان
بحمل الجراح
فحملتها حتى ألتوت عظامي،

www.akhawia.net

نصحتموني بالسرعة،
ويقولون ان الكون الكبير يعبر،
لكن ما شأنه بقلبي؟
سأصنع نفقاً من الحب
وأفرّ
علّني أسبق اللصوص والطّغاة
والقتلة،
الذين من بصاقهم حبر التاريخ
المقدّس،
به تُدَوّن الأشواق الباردة
والأفكار الميتة،
ترّهات الزمن وحضيض الذاكرة.
فأين نفرغ تلك الحمولة أيها السادة؟
هنا؟
أمام منصّاتكم؟
أم في العراء،
حيث البرق يمنحني ناره
فاتّسع بها
والبحيرة مرآتها
فأصل الى نفسي
الى غرف الرأس الغامضة،
والرعد يفتح أذنيّ للنّبوءات؟

www.akhawia.net

عصيّ الكلام

أضغطُ الجلدَ والعظم
لأخبيء العميق من نفسي
لكنه يفلت عنوة ويسير تحت مصابيح المطابع
وها حصانه يجمح
داخلاً مغاسل التاريخ
وغرف السُّعال
مارقاً تحت زهرة النضج العالية
أو من الأبواب السّفلى لمدنٍ مضت
دافعاً أمامه بشراً يهبطون جوفي كالحجارة.
النافذةُ شاسعة بيننا
سوف تغصُّ بعيون تقرص
وشفاه نافرةٍ كالإبر
وسوف يترنح رأسي تحت عصيّ الكلام
وليس في يدي سوى ورودِ ابنتي
أهشّهم بها.
أرى أسناناً حادة، ليست رماحُ الحروبِ أمضى
ومخالبَ تلتقطُني من الأعماق
وليس غيرك ما يحميني أيتها الورود.

فيل جويف
صيف ١٩٨٤

www.akhawia.net

فارس المخيلة يمتطي حصان الشجر

أيها الليل المقدس
وتبغ الحثالة في فمك
تتعرّق من الهمّ وتكتب مواويل حزينة
حفظتها عن الجدّات الغابرات
ولن تراها المطابع الملطخة بالشحوم.
يا من تسكن الدّور العليا
نحن عمال مزارع العلقم
نحلم بالهجرة
فنمتطي ظهور وسائدنا،
نلتفّ على نعاسنا كالخيوط،
والبرد يلتقطنا من الأطراف.
نحلم بأطفالنا وقد امتصّهم الشقاء
فصاروا رسوماً على الجدار
ليلهم الكاربوني يتمدّد كالوحش
يمضغون نومهم بصمت
ولا هواء في النوافذ.

وحش الرغبة خارج الجسد
خارج المدّ والجزر
وبيده نقود باطلة.
فارس المخيّلة يمتطي حصان الشجر
يمرّ مسرعاً من النوافذ
تاركاً الورقة العليا أكثر ترنّحاً
وميازيب الأرياف يخدق منها المطر

www.akhawia.net

الجميل
هذا ما يتذكره تعساء القرن العشرين
وتلك الشجرة التي تطلّ بقرنيها الأخضرين
ليست ملكاً لهم،
ولا يمكن الفرار عليها، مع ذلك
يحلمون. يحلمون.

www.akhawia.net

مضيق الهواء

جميع الكوارث عبرت مضيق الهواء
وفجّرت فمي،
وها هو السيف الذي يبتر
لكن الرّقاب نفدت
والممثلات مشطورات بين الغرباء
قناعهن للخدم
ولحمهن للسادة.
من يسكن ثقباً في الهواء
الجلّاد
أم الضحية؟
زرقة المصباح أم لسع السّياط؟
الظلام الحقود هناك
وفارض العقوبات يرتجل
فمن يجرؤ على الرقص والغناء؟
هيّا نخزن عظامنا في باطن الأرض
برسم الأمانة،
لكن هل يخوننا التراب؟

www.akhawia.net

البحر الورع

ها هو الدّخان يَمْثُل أمام الملك،
ويتعرّى،
فتظهر الجيوش والقطارات،
ويتطاير الرّصاص المتكرّر،
من ثقوب الفراغ
أو من ثقوب الضغينة
ترى من منهم الضحيّة؟
من عبر الأفق
وامتلك السّماء العمومية
بجواده الحزين؟

الحفيدات يزمجرن بكلمات غامضة،
ويتقطّع لهاثهن بسيف النّظرات الملكية.
كوكب الأرض يتورّم
فأين نضع أقدامنا؟
كيف يأتي الخلاص وقد نهب
ما تحت الوسائد؟
الخلاص الطامح للتكرار
والقلب الملكي يسرع، لكنه
يراوح مكانه.
تصوّروا أيها الفريسيون
هذا الحشد العظيم المتيقظ الراعش،
يغوص في البحر الكاريبي،
المتشكل في خريطة السّماء،

www.akhawia.net

حيث الملك يرشق معارضيه
بأعقاب السجاير
وينأى ساعة العاصفة .

www.akhawia.net

أين بهلوان النوم

كنت جبلاً وصرت مرتفعاً صغيراً
يطأه الجميع .
أفسدتنا الجراثيم وغدر بنا الهواء
وهربت النار الجميلة
ولم يبق لنا غير الرّماد
وحفنة من بثور الرومانسية .
فأين بهلوان النوم؟
سكين الفراق في القلب
ويانسون الغفلة يحشر في الفم
وأنت ترقص جميع الروائع من بعيد
حتى فقدت صواب الهزيمة
أصغ إليّ
وأنت واقف على شفتي
لقد أفْسَدْنا الليل
وأعلَنّا الحرب على الصباح
أصغ جيداً لأخبرك
كيف تتسلق سوط الجلاّد
لكن حذار ان تسأل من أنا؟

www.akhawia.net

طقوس البائدين

حلّق أيها الغراب ها هو التنين
قد ظهر لي في الحلم. بدأ يعرض قواه
أمامي حتى سحقني. وأدركت انّ من التفاهة
ان يُخلق الكائن إنساناً.
وأنذرني،
أنّ ما هو لمحة في حساب آنيشتاين
دهر في حسابه
وان له من القوى الخفيّة
ما يجعلني أكفر ملايين المرات
بإنسانيتي،
بالنور والحب والهواء،
بكل المظاهر الهشّة التي يذيبها
أسيد سمومه
بكل ما كان مشاعاً في عصر الرومانسية
وصار احتكاراً في عصره
وأمرني ان أفكّ خلايا جسدي
وأتقدّم بها
ليعيد طقوس البائدين.

www.akhawia.net

الغابات الوردية

ضوء الطاغية يُسلّط على وجوهنا،
يأكل لحمنا،
القطارات تمرق مسرعة تحت النوافذ
تشحن غرفاً وشعوباً ومصبّات.
ونحن نعوي من الشّقاء
تركنا قلوبنا تتدلّى كالثمار المباحة
وألسنتنا تبصق الفحم والدّخان.
تحت الضوء الموبوء
نحتسي العفونة والهزيمة.
خريف ممزّق يستوطن الثكنات
والمباني الغامضة
ونحن ندفن رؤوسنا في الزوايا
نسعل ونئن
وأحصنة الغابرين تصهل بحريّة.
طائرة تحت الشرفات.
الغابات الوردية تغيب في الظلام
أرواح تعتصم في القلاع المهجورة
لا تطالها الكشافات ولا المجاهر.
ظمؤها أعمق من الفم
يدخل صميمها غرباء
جلودهم شوك
وفي أقدامهم أفواه شرهة
تلتهم كل ما يطأون.

www.akhawia.net

شجر يمشي في النوم

أيها الليل
تعبر فوق أنفاس المطابع
ولا تقتلع ذلك التاريخ الكسيح
قدمي المرتعشة هي التي تنتمي اليّ
لا أشجار الكتب العالية
سفينة من الغيم، يتبعها صراخ الحجر
تخترق الأنسجة في حرب خرافية
لا ظلام في العيون، لا خداع
كل شيء يتعرّى
أزرق أزرق هو التاريخ
ماؤه بارد وشجره لا يزال يمشي في النوم
فم الأشجار وحده يغني في المعركة
انتهى عهد الفؤوس وصارت الحرب خرافة
ذات عيون فارغة وفم حازم
تصعد الى الرفوف وتهبط في دبيب النمل
لم يعد من صراخ في المدن والممالك
الفم المتذمر انتزع من الوجه
والشجر المتقرض يخي رأسه
ويختلس النظر
الى تلك الطلقات الصغيرة من الزبد
ابتهاجاً بعرس تاريخ كسيح .

باريس ـ قبل جويف
تشرين الثاني ١٩٨٤

www.akhawia.net

الأفكار الصامتة

www.akhawia.net

أفكار صامتة

الورود سوداء في المنفى
النسر وحش والغابة كمين
وعبثاً يصل الفم الى الفم

في نقطة لا تطالها الجهات رحت أحفر
علّني أرى جوهرة الحرية
فنشرب من فم واحد
أو نقهر معاً.
لكن الغابة بيضاء
وطعام العصافير ثلج
شخص ما سيطلق الرصاص
على ذاكرتي الواقفة في الهواء

أيها السيّد
جئت أبحث مع حرّاسك وكلاب حدائقك
قضية الجوع الذي أسكن
والذلّ الذي ألبس
والقامة التي فارقتني
وأشكو لبلاب الحلم الذي لا يثمر
وذَكَر الورد الذي أهان انثاه
والهاوية التي يتربّص بي جنودها

عندما كلّمت الله أنكر صورتي
وصفق الباب

www.akhawia.net

ان لباب السماء صدى يقهر ويذلّ،
فجأة،
نبت ذيل بين قائمتيّ
وأنا أنحدر نحو العالم السفليّ.

لم تكن في ذلك الزمن أهمّية للضحايا،
فكيف استطاعوا ان يصنعوا من جسدي ضحيّة
ورايةً للإرهاب؟
كيف استطاع أصحاب الباطل ان يمتطوا رجال الحق؟

عالجوا عبوديّتكم بالصبر
والصلاة
هكذا قيل لي
عالجوا قهركم وذاكرتكم بالنوم
أمّا أنا
فقد جلست تحت أشجار الشوك العالية
حتّى أزهرت

ابتكر عقابك يا سيدي
فأنا سيف الخطأ
ورمح في قلب الحقيقة،
آه لو استطعت قول ما أريد،
نصل العذاب جذري الوحيد
وكل ما عداه يسقط
إن حَكَّه الظفر.

أهدابي يتراكم عليها صدأ العزلة
وزرنيخ المنفى
أطلق سراحنا

www.akhawia.net

فتحت لساني مصنّف مليء بالإهانات،
بذلّ يكفي لنسيان جميع الحريّات.

في الوحدة بكيت وارتعشت
وكأنّ الرعد يهزّ مفاصلي،
وغنّى غبار وحدتي كطائر على الأشجار
مع ذلك لا تعترفين بشرعيتي أيتها الوحدة
أيتها الوحدة
التي تستعير أشكال الحريات.
الوحدة
أن تشتري باباً ونافذة
ومرحاضاً بهائة قفل
أن تختبىء في أضيق الجحور،
ثم تزفر دخان حبك المحترق.

آه لو استطعت ان ألتقط قادتي من المعاطف
أرجوهم ان يطلقوا ذلك النسر
من صدري
ليذهب حيث يشاء
أو ليتبعها
من تحت إفريز النافذة في فيل جويف
حيث عبرت ولم ترني

جفّت ينابيع لعابي
بعد ان شرب منها الفرس والمغول،
التركُ وغرباء بابل والأنباط
لذا لا أستطيع ان أبصق
على زمن يسكر بالنصر وبالهزيمة
احمل غبار الاثنين يا سيدي

www.akhawia.net

فلن يكشف أحد أمرك .

الجدار قناعي
لكنني أسقطته في المصحّات الكبرى ،
كانت القنّاصة تقف قبالتي
وتطلق رماحها
فيتساقط كل ما قرأته روثاً ،
وكانوا ينهضونني ويصلحون من شأني
فيأتي قنّاصة أخر
وتطلق الرّماح : «حاذري . . »
لكن
كيف أمسك الحذر؟
أقفلت ثقوب جسدي كلّها
ورجوت روحي المتضجّرة ألاّ تفارقني
وأخذت أجري وراء الجغرافيين
علّهم يعرّفونني تخومي البشرية .

ماذا أفعل إذا كنت أتقيّأ الطعام
السّماوي ،
ثمّ أبكي وأتلوّى من الجوع؟
يهزّونني بعنف ليوقظوني
لكنني لست نائمة
ولا يستطيعون الوصول الى المكان
الذي تعتليه روحي .

من يصدّق أن الموت يضل طريقه؟
قوديه أيتها الجميلة
الفائقة الطهر
التي انحنت وأصلحت من شأن عكازي ،

www.akhawia.net

وسقتني ماء البنفسج
ثم قالت:
هيّا انطلقي قبل ان يدركوك
لكن المئانة على وشك الانفجار
وقدماي عليلتان

أيها الشتاء يا سيدي
أي شيء تريد ان تنتزعه من فمي؟
أية بلاغات تريد ان تدوّنها
عن طحالب وأشْنات نمت على جسدي
عن جراد البوتاسيوم الذي شبع منها وتجشأ؟
لا تخرجني من وكري عنوة أيها الشتاء
لا تخرجني من وكري عنوة
فقبل ان أنحني لك
تكون قد طعنتني
ولن يبقى في داخلي إلا ممرٌّ طويل للنفايات
يعبره العالم الخارجي
لذا أسوق باطني بعصاي
وأعود الى نقطة لا تطالها الجهات.

www.akhawia.net

رامبو الألف وبودلير العشرون

١

كان الشعراء يفكرون في الثلوج
على قمم كلمنجارو.
في الرياح على ضفاف البحيرات
يحلمون بالأميرات النائمات مع قيثاراتهن
تحت أشجار الأضاليا.
أيها الشعراء
يا سائسي أعمارنا
النّارُ الأولى تُمنح من جديد
لآليات العصر ومواقده،
الكشفُ البدائي
رامبو الألف وبودلير العشرون
جميعهم يجرون في دمائنا،
ونهجم في اتجاهات العالم كلها
جموعاً تنهش وتفترس
وتستعيد الجوع الخرافيّ.

٢

مساء الخير أيتها الحزينة
وحدك في الليل ومتعدّدة في النهار
تظهرين بشكلك الهندسي
يغطيك رماد الوحدة.
أرقبك من نافذة المنفى
كي لا نفقد مجاذيفنا في الظلام
أعود الى عصورك الأولى:

www.akhawia.net

قلبي، شعري وأحلامي،
لا أجرؤ على عصيانها.

٣

كان نشاط الحصادين في أوجه
في حركتهم اللائبة تحت شجر الخطيئة
والريح ترفعهم شيئاً
فشيئاً،
يضمّون رؤوسهم، يهمسون أو يصلّون..
يلوّحون بأذرعهم في الفضاء
على أي شيء يقبضون
ثم يقذفونه للريح؟
يكررون الحركة الباطلة
والريح ترفعهم
كي يقبضوا لها على الغيوم
أو ليغيبوا فيها،
يا لذلك الحصاد!
بعيداً مضوا
أخذوا ظلالهم ومضوا
تركوا حصادهم ومضوا

ثمّة انقسامات كثيرة بين صفوف الغيوم
الغيمة الواحدة تتناثر
فيخرج فراخها

www.akhawia.net

ناقلين خبز الخريف الى موائد الشتاء
أيها الخريف الزاني
هيّا ندفن الحصاد الذي أهمل
هيّا نجذب الذاكرة المجهولة
لتنساب خيوط العالم تخيط الجزر المشردة
لتصير القارة الوهمية
أو الوطن الآخر.

٤

أيها المقنّعون بكل ما نحب
ونكره
لم لا تصغون إليّ؟
لساني الثقيل سيذهلكم
إذا ما انطلق مرة واحدة
أيها الغامضون
إذا مستكم بسيفي
شطرت لسانكم الى ألف
كل شطر يناقض الآخر.
أصغيت الى الأعراب والخراسانيين
وبقيت أصغي
حتى تساقطت أذناي في حسابات الطرق
والمسافات
ولسعتني الهزيمة.

٥

لو أنّ الكارثة تنشطر
وينبت عليها الشجر والعشب الجميل
لو أن الملائكة تخرج من الحجار
والأحبّاء من شفرة الفأس

www.akhawia.net

لو تجري أعظم الأنهار فوق راحتي
لو يرتوي هذا الظمأ . .

٦

امتطت الآلهة جياد البوتاسيوم
المطهمة
وعندما توقفت على حافة نافذتي
دهشت
كيف رأتني وأنا مجرد سنتمترات
في جوف الليل؟
فجأة انفرط جسدي الى نمل صغير
وأخذ من الرهبة يقرض بعضه البعض
ولما انتهى كل شيء
أكملت الآلهة تجوالها الملكي .

٧

خريف مبدع ، لكنّه يدمّر انثاه
وعندما يترنّح رأسه
يشرب من كأس أنوثتي
كأسٍ من خريف المعدن
من غموض اللغة والشعر
كيف يشعل حروبه
وأنثاه تكنز ذلك المطر؟

٨

نحن والذئاب ننام
ومثلها نموت
يا لهذه الشراكة

www.akhawia.net

٩

كيف تجيء النهايات؟
كيف ينتهي الصباح،
كيف تنتهي الموسيقى؟
كيف أصنع رأساً من تلك الصخرة التي
تعتلي منكبيّ؟
كيف أروي تلك المساحات
الشاسعة
من الرمال،
وأنا لا أملك ألا قطرة دم واحدة
منحني إيَّاها جمع غفير من
الأجداد
وأخبروني أنها سرّي،
فانتابني نوع من الحيرة:
كيف أدخلها جسدي؟
لا لضيق المكان
وقلة الشرايين
بل لأنني لم أعتد على الوجود بعد.

www.akhawia.net

غراب يطلب الغفران

شكوت ذاكرتي المتساقطة أمام أفواه
الطّغاة الى عنكبوت حكيم، ورجوته أن
يحيك لي خيطاً طويلاً يحملني الى القمر
لأمزّقه كورق باطل

وقلت
نلغي الكيمياء، نقْتلع النار من الجذور
نتلمّس جمر أحقادنا
وعندما نجوع
نزرع تراب الجسد
ونحصد قمحه المقدّس
نهمس للريح المخلصة:
هكذا يجب أن يكون الشوق.
لكنّ جسدي يخونني
ورأسي مملوء بهدير غامض
لولادة حديثة

ندخل نفق التاريخ وحزام الريفيات الارجواني
يتأرجح مع الريح
كلّما توغّلت داخل ذلك النفق
رأيت ملوكاً طغوا
أرشّهم بالرصاص
لكنهم
لا يسقطون

www.akhawia.net

(هل يسقط رغيف الفضاء في فم الجياع؟)

ورأيت
الدّم الكنعاني يملأ الغيطان
فرسه مقتلعة من الجغرافيا
من أجل ذلك
أطفأت برقي وعواصفي
كي لا يعاقبني الله
أسكنت غباري
واعتصمت خلف النوافذ الموصدة
خلف مواقد عريقة في الجنون
لكنّ الأبجدية ذاتها خؤون
(والمطر أيضاً)
لم تذق غير مائي الوحيد

ورأيت
البحر يشب مشبعاً بملحه وذكورته
أمام الغابات المنهكة من فعل الولادة
قلت
انتظر دورة الحياة
على سفن النوتيين
وصائدي السمك
لأرى الغابة كيف تسقط ذهبها
والريح تلتقطه وتطير
(لا أحد يعلم أين تخفي نقودها تلك الحدباء)
ورأيت
ملكات خرافيات في مغاور النّخبة، خيولهن
الفارهة تطأ العواصم. أمّا نحن الذين تنقصهم
الحواجب والعمامة الحضارية فليس لنا إلا العراء.

www.akhawia.net

مع ذلك صعدنا، ورأينا الله في مداخل الكون،
باهراً وبهيّاً. في البدء أخذتنا الرّهبة، لكن بأفواهٍ متشنّجة صرخنا:
هل حقّاً تبلونا لتمتحننا؟
هذا ما رواه الغراب.

ـ لكن، من أخافك أيّها الغراب؟
من أقضّ مضجعك حتى
هجرت السفينة المدّبرة لأمور الخزائن،
أيها البريء مثل مياه الينابيع؟

ـ من هكذا يناديني والخرافة تفصلنا؟
حقّاً لا نبع يجري بعظمة الخيال
الزّمن ذاته يقف صلباً وجافاً
في الحلق
يشرب الماء الحيّ من الشّفاه
ويطعن الأحشاء الهاذية
يصعد منتزعاً أرضه الصغيرة
فيصير الخريف خريفين
وكذلك الشتاء
العاصفة الحكيمة
تخفي صوتها في عنقها الفارع
قوانينها من الماء
مع ذلك
سحبت خيط الكلام من فمي
ملوّثاً
بالدّم الموروث منذ
ملايين السنين

قلت

www.akhawia.net

أشتهي رغيفاً قاسياً
يؤجج جوعي
وخريفاً يهزّ مخيّلتي، يليه
شتاء عاصف يفتح رحمها
لتلد الغرائب
فرأيت
حشوداً من خيطان المطر
تنتظر موتها أمام العتبة، وأنا
أمتطي أسلاك الحرمان

أيتها الجموع انطلقي
فالخريف خريفك، والشتاء
خمر في كأسك والأزمنة
التي في دمك لن تبلى
أيتها الحمّى الوسيطة.

رأيت
شاعراً ينهض من حضيض الهواء،
ولكن، كيف تلتقي الفراشة والجرادة على
نبات أفكاره؟ لقد دفع بتلك الفأس
المجوسية الى صلبي، فأخذت أحتمي
بالصاعد وأنكر الهابط، أصلّي علّ تلك
الايقونة الشقراء
تحرسني
الليل منهك
والوحدة تضرب بوحشية

أيها السيد
أشتهي ان أحتمي بك

www.akhawia.net

لكنّني أزحف تحت الأرصفة
أسترق النظر إليك
شجاعتي هي التي تخونني
ففي صدري ذلّ عريق

هل تذكرون كيف اختارني نوح
ثم دفع بسفينته خارج الطوفان؟
كانت هناك امرأة تمسك بخشب
السفينة وتصرخ: هلى الغراب أحق
منّي بالنّجاة؟
حقّاً إنّني غراب، (وهو ما عذّبني طويلاً)
لكنّ روحي كانت دائماً تعود إليّ، مع أنها في
البدء كانت لآدم، أتذكرونه؟ ذلك الصديق
الذي طرده الله من أجل خطيئة واحدة؟
ولم تمنحني الغبطة ولا الأمان روحه العائدة. .

تحت الرّصيف اختبأت
ورنوت
الى المارّة، ما رأيت غير
أحذيتهم
الحذاء الملكيّ وحده أدهشني وأغراني
لكن ما الفائدة ولا أهميّة له في قدمي؟
تنفست من تحت إبطي فانتشيت برائحة
العرق، وتنفست من قدميّ فانتشيت
برائحة التراب
ولم أدفع الثمن
فأنا متسوّل أبدي
(حتى لو غفرت لي
لن تدفئني

www.akhawia.net

وسأظلّ مذعوراً كأنّي آثم حقّاً .)

هكذا نسيت الرّجوع
ورأيت الصقيع يتدلّى من الشّفاه
كالثّمار المحرّمة .

قلت
أنتزع خطّ الاستواء وأتدفّأ به
أنصبه كأشرطة الهاتف
وألتقط الكلمات العذبة بمنقاري
أقف عليه وأغنّي
لكن
ها أنا أهبط الشوارع
ومسامير المسيح في قدمي .

قلت
لأكتب بحبر الأحقاد
لكنّني انتفضت ذعراً
أنشدت بصوت الجيوش المنهزمة :
«من يقدر ان يغلب ضعفي ؟
من يأخذ أثدائي المريضة؟
من يشتري كليتين كالباطون
ومعدةً تطحن قمح القرى؟

وقلت
سأمسك عصا لأهش بها الكآبة
ولن أتوقف حتى تبتعد
لكن
أيتها البشرية يا حبيبتي

www.akhawia.net

علّميني، ماذا أفعل؟
نسيت فنّ الرسم والكلام
وأتقنت الخسارة،
كيف أتجنّب صاعقة الغضب؟»

(أين يخفي كتفيه وكيف يهرب من الويلات
وهي تطارده منذ هجر السفينة؟ يعظّمون
الأمور فوق رأسه، وليس فيه غير
عينين مدوّرتين ومنقار لا يعي ما يقول،
فلماذا يطاردونه؟)

صرخ الغراب:
لا يشعر بألم الطعنة إلّا المطعون
كل نبات ينمو داخل مناخه
تشبّث الغراب بالهواء، لكنه شعر أنّ
ناراً اندلعت في كتفيه ومفاصله، وفكّر أنّ لكل زمن ملائكته، وما كاد ينطق
بتلك العبارة حتى شعر كأنّه اقتُلع من موقعه،
مع أنه لم يزل واقعاً فيه،
ورغم انه لم ينتصر طول عمره على شيء، مهما
ضَؤُل أو هَزُل، مرّ سربٌ من النمل بجواره،
فرجاه ألّا يضربه على رأسه بتلك الفأس
السحرية التي يُشهرها الجميع كلّما زفر
أو تنهّد

كانوا فيما مضى، يجيبون بكلمات رقيقة وعيون
مشعّة بالحب، أمّا الآن فالجواب يأتي
نقراً مقلقاً يزعزع سكينته التي انزلها بألم بالغ في حرائق نفسه.

أخذ يرجو كل من يلوح ان يخرجه من حصاره

www.akhawia.net

ليرعى كما يفعل الأبرياء
لكن الطريق مليء بالكمائن
فأين عصا الشعر أتوكأ عليها؟
الظلام كثيف يا عساكر الشعر الطيبين
معاملَ الحريّة، حرسَ الجغرافيا
حرسَ المحيط وموظّفي الموج

أزرع القمح فتأكله الأرض
ثم أزرع فتأكله الريح والخريف
وكلّما زرعت جاء ما يأكل
حتّى أفنى

(حسب أنه أوفر حظاً عندما دخل
السفينة، وها هو يقف أمام عتبة
الفندق، في ذلك النهار.
لقد ألقى خطابه الغريب)

ولكن
من يصدّق غراباً مُبتلى؟
حقّاً إن عنقه دقيقٍ
وجسده ليس ثقيلاً

خُيّل إليه
أنّه لو بصق معدته سيغفر له البشر،
ففتح منقاره وجحظت عيناه حتى تساقطت
الدموع. وكاد ان يختنق وهو يبصق كبده
أيضاً، وفكّر أنّه لو تخلّى عن جناحيه لانتهى الأمر
وأقسم
انّه لن يحلم بعد اليوم

www.akhawia.net

لن يكون طموحاً
ولن تغريه الحريّة
ولم يدر أنّه بذلك تخلّى عن كل ما لديه

هكذا
لم يلبث أن بصق قلبه
ورئتيه
ثم تخلّى عن عينيه
كي لا يرى الأشياء التي أحبّها
وقد صارت يباباً
منذ الآن سيحني رأسه
أو يحشره تحت إبطيه
لكنّ نوحاً كان محنكاً في الإدانة
حار الغراب في أمره
اشمأزّ من منقاره، بصق صوته فطار،
وسمعه البشر يجيء مكتوماً من بين الجبال،
وتذكر أنّ إحدى النّساء ظنّت به خَرَفاً،
وتمتم رجل بشيء ما، وآخر غمغم كلاماً غامضاً.
لقد ألهب ذلك ناراً في داخله. ثم
فُتحَ باب أطلّ منه رجلٌ لم يكد يلمحه
حتى أقفل. وتوهّم شخصاً يهمس له:
«لقد مسست قلبي أيها الغراب» فدهش.
هل يُعقَل في هذا العالم الأصمّ..؟

وتذكّر
قول الجنوبيين إنه ذئب لئيم
ومن في الغرب انّ هناك ملايين
وأنه مجرد نقطة بينها. أمّا الشرقيون
فقالوا: نحن ذاهبون الى القرى لنصطاف

www.akhawia.net

والأمر لا يهمّنا.
وأدرك كم توهّم:
تناول حبّة رمل ليسدّ جوعه
فالتصقت بأغشية فمه..

كانت المصابيح تشعّ من بعيد في
ذلك الليل، غير أنه لم يستطع الرّقاد.
تذكر كيف كانت عظامه تتقوّس وهو
مكبّ فوق العمل، مع ذلك كان الغضب
يطحن كتفيه ويفكّ مفاصله. دخل الغضب
الى غرفة نومه حيث كان يحشر نفسه
في الزّوايا المرقّطة
أيّ إله استطاع ان يُرضي البشر؟
أيّ نبيّ؟

وأنا، لم أزرع شجراً في الشرق
ولا قمحاً في الغرب،
ولا وردا في الشمال
ولا شوكاً في الجنوب
أتنفّس في دائرة صغيرة
تتّسع لقدميّ، تحمل قامةً
لا ارتفاع لها،
أتنفّس من مسامّي جميعها
وأزفر هواء أتدفأ به.

وهدر صوت: «اطردوه...»

إذا طردتني السفينة
هل يقبلني الطوفان؟

www.akhawia.net

أم أخترع أرضاً قفراء
أربطها بخيط وأذهب بها حيث أشاء
وبينما كنت تحت الرّصيف جذبني اثنان
وأخذا يجّرانني حتى وصلت الى طرف الهاوية،
فقذفا بي وأخذا يردمانني بالتراب، وكنت
كلّما خرجت أعاداني.
كان جوفي فماً يناديني فأنهض. وكان
نصف البشرية يصرخ في أذني اليمنى،
والنصف الآخر يقبع صامتاً في اليسرى.
العاصفة سحبت خيط الكلام من فمي
ملوّثاً بالدم منذ ملايين السنين
قلت...

* إشارة: كتبت هذه القصائد جميعها بين حزيران ١٩٨٤ وتموز ١٩٨٥، بين مستشفى «بول بروس» بضاحية فيل جويف قرب باريس، حيث امضت الشاعرة عشرة أشهر للعلاج من المرض الذي أودى بها، وبين بيتها بدمشق. أما المقدّمة فكانت قد كتبت أجزاء منها كحديث لمجلة «فكر» اللبنانية عام ١٩٨٢، ثم أعادت كتابتها في السنة الأخيرة.

www.akhawia.net

القصائد

مقدمة ـ فجر نسميه القصيدة ٩

الطوفان

الطوفان ١٩
ذاكرة النيران ٢٠
الذاكرة الأخيرة ٢٢
أيها الخداع يا جسدي ٢٥

مليون امرأة هي أمك

تخرجين من أسوار الجسد ٣٤
ثقوب الليل ٣٧
امرأة من الطباشير ٣٩
العاشق الوبال ٤١
يمضغني كما في المجاعات ٤٣
مليون امرأة هي أمك ٤٤

على زغب المياه

معبد الشمس ٥١
ملايين الأرواح خارج غطائها ٥٣
على زغب المياه ٥٤
شيء ما في صدر الريح ٥٦
البحيرات المدانة ٥٨

المحاكمة

قمر رطب ٦١
المحاكمة ٦٣
عصيّ الكلام ٦٧

www.akhawia.net

فارس المخيلة يمتطي حصان الشجر ٦٨
مضيق الهواء ٧٠
البحر الورع ٧١
أين بهلوان النوم ٧٣
طقوس البائدين ٧٤
الغابات الوردية ٧٥
شجر يمشي في النوم ٧٦

الأفكار الصامتة

أفكار صامتة ٧٩
رامبو الألف وبودلير العشرون ٨٤
غراب يطلب الغفران ٨٩

www.akhawia.net